مبدأ التدرج التربوي والدعوي وتطبيقاته في السنة النبوية

د. خليفة فرج الجراي
كلية علوم الشريعة جامعة المرقب
kj2211@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله مسدي النعم، ودافع النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، سيد العرب والعجم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فالتدرج أسلوب من أساليب الدعوة والتربية والتشريع، استعمله الإسلام في دعوة وتعليم الناس لبناء مجتمع إسلامي على قاعدة متينة ، وهو أسلوب ناجع من أساليب التيسير المطلوبة من العاملين في حقل الدعوة والتربية والتعليم فالداعي لذلك هو صاحب الدعوة ومعلم البشرية صلى الله عليه وسلم القائل: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[1] وخير مثال مناسب للتدرج كما جاء في القرءان هو تحريم الخمر والذي هو أم الخبائث، فقد جاء تحريمه على أربعة مراحل، رحمة بالناس، وقد نجح نجاحاً منقطع النظير في تحريمها وصد الناس عنها، مع حبهم لها وعشقهم لشرابها ولما نزلت:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[2] قالوا: انتهينا انتهينا.[3]

(1) مسلم /كتاب الجهاد والسير / باب : في الأمر بالتيسير وترك التنفير (1732)
(2) المائدة:91
(3) رواه الترمذي : باب : ومن سورة المائدة ،(3049)

وقد أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم ببيان القرآن وإيضاح معانيه ، وإفتاء الناس وتوضيح الحلال والحرام لهم ، والفصل بينهم في الخصومات ، وإقامة الحدود على من يستحقونها ، ومحاربة الكفر والكافرين ، وسياسة أمور الدولة الإسلامية ، وهذه الأمور لا يمكن تحقيقها فجأة وجملة واحدة لتغيير حياة الناس من أمور الجاهلية والكفر إلى ساحة الإيمان ومنهج الإسلام ، بل كان لا بد من اتباع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم منهج القرآن الكريم في التدرج في التشريع وبيان الأحكام لانتزاع العقائد الباطلة والعادات السيئة الضارة ومحاربة المنكرات والرذائل التي كانت منتشرة في الجاهلية ، والالتزام بالعقائد السليمة والعبادات والأحكام والمعاملات الصحيحة، والدعوة إلى القيم السامية والأخلاق الحسنة الحميدة والآداب الرفيعة، بل هذا المنهج كان من أنجح المناهج في تربية النفوس وتعليمها والأخذ بها شيئا فشيئا حتى تصل مرحلة الثبات

وقد وجّه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أصحابه إلى هذا المنهج في الدعوة إلى الله جلّ وعلا ، وفي تبليغ تعاليم الإسلام، كما في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث معاذ بن جبل أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه إلى اليمن فقال له : "إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة ، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[4]

ويعد التدرج بهذا المفهوم الشرعي سنة ومنهجا عند الله في تعليم عباده وتربيتهم على الإيمان والتقوى، ومن يتتبع القرآن الكريم في كثير من سوره وآياته يتضح له ذلك الأسلوب في التربية والتعليم، ويجد أن هذا الأسلوب الإلهي التربوي فيه مراعاة لمصلحة العباد, حتى لا ينفروا ويتذمروا من تعاليم الإسلام، وتطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لهذا المنهج الرباني في دعوته للأمة وتربيتها نجاح عظيم، وقد سار على ذلك المنهج خلفاؤه الكرام، ودعاة الأمة وعلماؤها ردحا من الزمن بلغت فيه الأمة أن كانت قائدة الأمم ورائدة الفكر، وما ضاعت الأمة وانحرفت إلا يوم أن تخلت عن منهج ربها القويم وماضيها التليد ، الأمر الذي يحتم عليها أن تعود لكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم لتتخذهما منهجا وأساسا لظهورها، وعلو شأنها من جديد، ولا يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

(4) البخاري، كتاب : الزكاة ، باب : أخذ الصدقة من الأغنياء وترد إلى الفقراء ،(1496)

وإن المؤتمر الدولي الثاني الذي تنظمه كلية علوم الشريعة بجامعة المرقب بعنوان : (فقه التعامل مع السنة النبوية الاتجاهات والضوابط والجهود) خطوة مباركة, ومبادرة مشكورة، تبعثان في الأمة روح الإصلاح والنهوض، وذلك باتباع سنة النبي الكريم والمنهج النبوي القويم الذي هو روح الأمة وصلاحها وقوامها وسعادتها، وقد تشرفت بقبول ملخص ورقتي البحثية التي تقدمت بها للسادة القائمين على هذا المؤتمر المبارك ــ جزاهم الله خيرا ــ لعلها تكون لبنة إصلاح من لبنات هذا المؤتمر العلمي المبارك، وقد اخترت محورا من محاور المؤتمر وهو : " الاتجاه الدعوي التربوي " ليندرج تحته موضوع ورقتي البحثية بعنوان "**مبدأ التدرج التربوي والدعوي وتطبيقاته في السنة النبوية**" انسجاما مع عنوان المؤتمر.

وسيكون هذا البحث على النحو التالي:

مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة.

ــ مقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع والمؤتمر بصفة عامة .

مطلب أول ــ التأصيل لمبدأ التدرج وأنه منهج تربوي تعليمي دعوي.

مطلب ثان ــ مبدأ التدرج التربوي والدعوي في القرءان الكريم .

مطلب ثالث ــ تطبيقات مبدأ التدرج التربوي والدعوي في السنة النبوية.

مطلب رابع ــ تطبيق مبدأ التدرج التربوي والدعوي في أبعاد عدة في واقعنا المعاصر.

خاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مطلب أول _ التأصيل لمبدأ التدرج وأنه منهج تربوي تعليمي دعوي.

التدرج لغة: بالنظر في معاجم اللغة العربية نجد الكلمات:

دَرَجَ – درَّج – تدرَّج – استدرج – الدراجة.

مع اختلافها اليسير في معانيها، إلا أنها تدل على المشي والحركة الهينة، والصعود في المراتب.

فقد جاءت كلمة **(درج)** بمعنى المشي والمضي فيه. ففي معجم مقاييس اللغة: (دَرَجَ) الدال والراء والجيم أصل واحد يدل على مضي الشيء، والمضي في الشيء، من ذلك قولهم: درج الشيء، إذا مضى لسبيله[5].

وفي الصحاح: يُقال: درج الرجل ويدرج دروجًا ودرجانًا أي مشى[6] .

وجاء في المعجم الوسيط: درج الصبي: أخذ في الحركة، ومشى قليلًا أوّل ما يمشي، ودرَجت الريح: مرت مرًّا هينًا[7].

وأما **(درَّج)** بتشديد الراء فمعناها: التأنِّي في تناول الشيء أو بلوغه، ففي لسان العرب: يقال: درَّجت العليل تدريجًا، إذا أطعمته شيئًا قليلًا، وذلك إذا نقِه، حتى يتدرج إلى غاية أكله، كما كان قبل العلة درجةً درجةً [8].

ودرَّج فلانًا إلى الشيء: أدناه منه قليلًا قليلًا وعوّده إياه. ودرَّج الطعام ودرَّج الأمر فلانًا: حملاه على التدرج فيهما، ويُقال: (درَّجه) : جعله درجات[9].

وأما **(تدرَّج)** فهو مطاوع درَّجه، و**(استدرج)** استدرجه، بمعنى، أي: أدناه منه على التدريج، فتدرج، وفي التنزيل العزيز:﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[10]

(5) معجم مقاييس اللغة ، 275/2
(6) الصحاح ، 313/16
(7) المعجم الوسيط 277/1
(8) لسان العرب 963/1
(9) المعجم الوسيط 277/1
(10) الأعراف:182

قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم، [11] فإذا خرجنا من دائرة الفعل، واتجهنا إلى الاسم وجدنا:(**الدراجة**) والدرج ودَرَجُ البناء ودُرَّجه، بالتثقيل، أي تشديد الراء، وهي المراتب بعضها فوق بعض. والدَّرَجة: المرقاة، والدرجة واحدة الدرجات، وهي الطبقات من المراتب، ودرجات الجنة منازل أرفع من منازل[12]. وفي القرآن الكريم: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[13]

وقال تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ ﴾[14]

ومما تقدَّم تتضح لنا العلاقة جلية بين الفعل والاسم، لأن صعود البناء يحتاج إلى درجة، ومراتب بعضها فوق بعض، وكذلك درجات الجنة، منازل بعضها فوق بعض.

وكلمة " التدرّج " التي نحن بصدد بحثها تشتمل على المعاني السابقة التي ذكرناها في الفعل والاسم.

التدرج في الاصطلاح:

من خلال معاني التدرج في اللغة يمكن الوصول إلى تعريف للتدرج وهو: " التقدم بالمدعو شيئًا فشيئًا للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وَفْقَ طرق مشروعة مخصوصة "[15] وجاء هذا المعنى في قوله تعالى:﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ **تَنزِيلًا**﴾[16] قال القرطبي : أي أنزلناه شيئًا بعد شيء ، ونجمًا بعد نجم ، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا. [17]

ويقول الفخر الرازي :"لو أنزل الكتاب جملة واحدة لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق ، فكان يثقل عليهم ذلك ، أما لو نزل مفرقًا منجمًا ،لا جرم نزلت التكاليف قليلًا قليلًا فكان تحملها أسهل "[18]

(11) لسان العرب 964/1

(12) لسان العرب، 1 / 962.

(13) آل عمران:163

(14) النساء:95

(15) التدرج بين التشريع والدعوة لقاسم عبد العزيز ص (7)

(16) الإسراء:106

(17) الجامع لأحكام القرآن ، 340 .

(18) التفسير الكبير ، 24 / 79 .

وقد عرّفه الدكتور الزحيلي بقوله: "التدرج في التشريع: هو نزول الأحكام الشرعية على المسلمين شيئًا فشيئًا، طوال فترة البعثة النبوية، حتى انتهى بتمام الشريعة، وكمال الإسلام" [19].

ولم يرد لفظ التدرج في القرءان الكريم وإنما ورد لفظ (الاستدراج) في موضعين وهو قريب من لفظ التدرج وهما : قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [20] وقوله تعالى:﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [21]ومعناه نأخذهم درجة درجة وندنيهم من الشئ شيئا فشيئا. [22]

والمقصود من التدرج هو تعليم النفوس ودعوتها شيئا فشيئا وذلك بالبدء بصغار الأمور قبل كبارها والتكليف بالأهم قبل المهم حتى تتمكن من التخلص من العادات والتقاليد الموروثة شيئا فشيئا، والاستعداد للحكم الشرعي المستقر بتقبل النفوس له وتربيتها على وفق الغاية الشرعية تدريجيا.

الحكمة من منهج التدرج التربوي والدعوي:

جاء القرءان الكريم بمبدأ التدرج لحكم عظيمة، ومقاصد جليلة، منها:

أولًا: تهيئة النفوس لتقبل التكاليف:

جاء الشرع بأسلوب التدرج؛ لترويض النفوس على تقبّل أحكام الله، فلم تفرض التكاليف كلها مرة واحدة، ولم تفرض بشكلها النهائي دفعة واحدة، بل تدرج بهم شيئًا فشيئًا حتى تتهيأ نفوسهم لقبول التكاليف.

ثانيًا: التمهل في استئصال العادات القبيحة المتأصلة في النفوس:

كان التدرّج في تحريم المحرّمات والعادات القبيحة لاسيما العادات المتوارثة على مرّ قرون طويلة مراعاةً لأحوال الناس، ورحمةً بهم، وتيسيرًا عليهم؛ إذ جاء الإسلام والعرب قد تأصّلت في نفوسهم غرائز ألفوها، ولا يسهل اقتلاعها مرة واحدة؛ فتدرج بهم التشريع في تحريمها على مراحل.

---

(19) التدرج في التشريع والتطبيق في الشريعة الإسلامية، محمد مصطفى الزحيلي ص 27.
(20) الأعراف:182
(21) القلم:44
(22) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص 311 .

ثالثًا: تسهيل الانقياد للحق:

لقد جاء القرآن في بيئة لا تعرف للحق نصرة، وتتخبط في ظلمات الضلال والفساد، ولم يكن إخراجهم من هذه الحياة وهذا الواقع إلى نور الإسلام بالأمر السهل، فراعى التشريع الإسلامي ذلك، فنزلت التشريعات متدرجة حتى يسهل انقيادهم للحق، ويمتثلون الإسلام دينًا ودولة.

مطلب ثان _ مبدأ التدرج التربوي والدعوي في القرءان الكريم.

أولا : التدرج في فرض بعض الواجبات.

_ التدرج في الصوم .

لم يُفرض صيام رمضان من أول مرحلة واحدة، بل مرت فرضيته على ثلاث مراحل، على النحو التالي:

المرحلة الأولى: التخيير بين الصيام، أو فدية وهي إطعام مسكين عن كل يوم ، قال تعالى:﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[23] ومعنى "يطيقونه" في هذه المرحلة: أي يقدر على الصيام ولم يصم لما ورد عن سلمة بن الأكْوعِ رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ:﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ كَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ وَيَفْتَدِيَ، حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَنَسَخَتْهَا "[24] ويقصد بالآية التي بعدها: قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [25]

المرحلة الثانية: فرضية الصيام على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولكن إذا غربت الشمس ونام الصائم ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى غروب شمس اليوم التالي، وهي مرحلة فيها مشقة على الصائمين، ويدل على ذلك ما جاء في حديث الْبَرَاءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا كَانَ

(23) البقرة:184
(24) البخاري ، كتاب: تفسير القرآن ، باب: قوله تعالى " فمن شهد منكم الشهر فليصمه" (4507)
(25) البقرة:185

الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ، لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ، قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[26] فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ﴾[27][28]

المرحلة الثالثة: وجوب صوم رمضان على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، حتى وإن نام الصائم بعد الغروب ولم يفطر، يقول الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[29]

وبقي التّخيير للذين لا يُطيقون صيامه، أو يُطيقونه مع شدّة وضرر، فعن عبد الله بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنّه لما قرأ قوله تعالى:﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ قال رضي الله عنه: " لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ، هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا "[30] ويقصد بـ "يطيقونه" في هذه المرحلة: أي يشق عليهم.

يقول الإمام ابن قيّم الجوزية ــرحمه اللهــ في بيان الحكمة من هذا التدرّج : " لما كان – أي: الصّوم – غيرَ مألوفٍ لهم، ولا معتادٍ، والطِّباعُ تأباه؛ إذ هو هجرُ مألوفِها ومحبوبِها، ولم تذقْ بعدُ حلاوتَه وعواقبَه المحمودةَ، وما في طيّه من المصالح والمنافع، فخُيِّرت بينه وبين الإطعام، وندبت إليه، فلمّا عرَفت علّته وأَلِفَتْه، وعرفت ما تضمّنه من المصالح والفوائد، حُتِم عليها عيناً، ولم يقبل منها سواه، فكان التّخيير في وقته مصلحةً، وتعيينُ الصّوم في وقته مصلحة، فاقتضت الحكمة البالغة شرعَ كلِّ حكمٍ في وقته؛ لأنّ المصلحة فيه في ذلك الوقت"[31].

ثانيا : التدرج في تحريم بعض العادات المتأصلة في المجتمع على مراحل.

---

(26) البقرة:187

(27) البقرة:187

(28) البخاري ، كتاب: الصوم ، باب: قوله تعالى:" أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم" (1915)

(29) سورة البقرة: الآية 187.

(30) البخاري ، كتاب : التفسير، باب: قوله " أياما معدودات"(4505) .

(31) مفتاح دار السعاد لابن القيم (347/2) .

ـ تحريم الخمر:

راعى الإسلام سنةَ التدرج فيما شرعه للناس إيجابًا أو تحريمًا، لأن الشارع الحكيم أعلمُ بطبائع الأشياء وخصائصها، ومن خصائص الخمر أنها تُؤثِّر على العقل، وقد سُمِّيت خمرًا لمخامرتها العقل، ولها سلطان عليه، ومن الصعب العسير أن يتخلَّى عنها شاربُها أو مدمنُها دفعة واحدة، فكان لا بد من التدريج لتهيئة النفوس لقَبول الحكم؛ ولهذا مر تحريم الخمر بعدة مراحل ذكرها المفسرون، وأنقل هنا ما ذكره القرطبي – رحمه الله تعالى – في ذلك.

قال– رحمه الله –:وإنما نزل تحريم الخمر في سنة ثلاث بعد وقعة أُحُدٍ، وقال: وتحريم الخمر كان بتدريج ونوازل كثيرة، فإنهم كانوا مُولَعين بشربِها، وأول ما نزل في شأنها: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[32] أي: في تجارتِهم، فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس، وقالوا: نأخذ منفعتَها ونترك إثمها، فنزلت هذه الآية: ﴿ **لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى** ﴾[33] فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشرِبَها بعض الناس في غير أوقات الصلاة حتى نزلت:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[34] فصارت حرامًا عليهم حتى صار يقول بعضهم: ما حرَّم الله شيئًا أشد من الخمرِ.[35]

تحريم بعض العادات المتأصلة في المجتمع لم يأتِ إلا بعد أن عمَرت القلوب بالإيمان، وأصبح سلطانُ الإيمان أقوى من سلطان النفس والهوى فانقادت النفوس بسهولة ، ولم يدخل معهم الإسلام في صدام مباشر، ولكنه – مراعاةً لأحوالهم وما هم عليه من حب للخمر – أخذهم بالتدرج، وهيَّأ نفوسهم شيئًا فشيئًا لتركِها، بل ولم يجعلها قضية تستحق البحث في هذه المرحلة من بداية الدعوة،

(32) البقرة:219
(33) النساء : 43 .
(34) سورة المائدة الآية 91 .
(35) تفسير القرطبي (286/6).

فكانت العناية متَّجِهة نحو تصحيح العقيدة، والدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعظيمه، فلما صار حبُّ الله تعالى أعظمَ الأمور، صغُر أمرُ الخمر وتضاءل، فلما أمرهم بالتحريم شيئًا فشيئًا كانت الاستجابة للأمر، وانتهى الناس عن تعاطيها، بل صاروا يكرهونها، ويكرهون شربها وشاربها وبائعها، وصنعها وصانعها وربحها، وكل ما يتصل بها، وهذا من أعظم أساليب التربية.

ـ تحريم الربا :

جاء تحريم الربا على أربعة مراحل كما حدث في تحريم الخمر، وذلك تمشياً مع قاعدة التدرج:

الدور الأول: نزل قوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[36] هذه الأية ليس فيها ما يشير إلى تحريم الربا وإنما فيها إشارة إلى بغض الله للربا، وليس فيه ثواب لمن يتعامل به .

الدور الثاني: نزل قوله تعالى:﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[37]وهذه الآية هي حكاية عن جرائم اليهود مما قصه الله علينا وليس فيه ما يدل دلالة قطعية على أن الربا محرّم على المسلمين.

الدور الثالث: قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[38] وهذه الآية فيها تحريم للربا، ولكنه تحريم لنوع من الربا الذي يسمى (الربا الفاحش) وهو الربا الذي يتزايد فيه الدين حتى يصبح أضعافاً مضاعفة، يثقل على كاهل المستدين، الذي استدان لحاجته وضرورته وهو يشبه تحريم الخمر في المرحلة الثالثة في أوقات الصلاة﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[39]

الدور الرابع: في هذه المرحلة الأخيرة نزل التحريم الكلي والقاطع، ليس فيه استثناء، قال تعالى تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[40]

---

(36) الروم:39

(37) النساء:161

(38) آل عمران:130

(39) النساء:43

(40) البقرة:278

وبهذا البيان يتضح لنا سر التشريع الإسلامي في دعوة الناس والتدرج بهم في تحريم بعض ما ألفوه حتى تؤتي الدعوة أكلها.

ثالثا : التدرج في أحكام الأحوال الشخصية.

ـ التدرج في إصلاح الناشز:

جاء في سورة النساء بيان لمراحل علاج نشوز الزوجة وكيفية التعامل مع الخلافات الزوجية، فيقول عز وجل: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [41] بدأ القرآن بالتدرج في علاج نشوز الزوجة بالوعظ، ثم الهجر، ثم الضرب غير المبرح، ثم محاولات الصلح عن طريق حَكمين لمحاولة التوفيق أو التفريق.

ـ التدرج في الطلاق:

جاء الطلاق على مراحل في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾ [42]

فالآية الأولى بيان للطلاق الرجعي، وحكم الخلع، وأن الطلاق لا يتم دفعة واحدة، ولكن لا بد من العدَّة وفرصة المراجعة لها بعد مراجعة العواطف والميول، والآية الثانية بيان حكم الطلقة الثالثة.

يقول الإمام الرازي – رحمه الله تعالى –: ومعناه: أن التطليق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة. [43]

(41) النساء:35_36

(42) البقرة:229_230

(43) مفاتيح الغيب (385/3) .

رابعا : التدرج في فرض بعض العقوبات من الأيسر إلى الأشد.

_ التدرج في حد الزنا.

لم يحرم الزنا على مراحل مثلما حرم الخمر وذلك لعظم قبحه وفحشه وكثرة أضراره وعواقبه، وإنما كان التدرج في إنزال العقوبة بفاعله، فكان في أول الأمر عقوبة الزنا بالإيذاء والتوبيخ والتعنيف لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ (44)

ثم تدرج الحكم بعد ذلك إلى الحبس في البيوت لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ (45)

ثم استقر الأمر وجعل السبيل، فجعل عقوبة الزاني غير المحصن مائة جلدة، والرجم للمحصن حتى يموت، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (46)

وجاء في حديث عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"(47)

وقد نقل صاحب كتاب فقه السنة: أن كثيرا من الفقهاء يرون أن تقرير عقوبة الزنا كانت متدرجة كما حدث في تحريم الخمر، وكما حصل في تشريع الصيام، فكانت العقوبة أولاً بالإيذاء ثم الحبس ثم استقرت العقوبة الأخيرة التي هي الجلد مع النفي للبكر والرجم للثيب. (48)

وجاءت هذه العقوبة بهذا التدرج ليرتقي بالمجتمع، ويأخذ به إلى العفاف والطهر، وحتى لا يشق على الناس هذا الانتقال فلا يكون عليهم في الدين حرج.

---

(44) النساء:16

(45) النساء:15

(46) النور:2

(47) رواه مسلم ، كتاب : الحدود، باب: حد الزنا، حديث رقم (1690) .

(48) فقه السنة للسيد سابق (404/2) .

والآيات كما أسلفنا لا تدل على التدرج في التحريم، وإنما تدل على التدرج في العقوبة، وأما التحريم فهو أمر مقطوع به من أول الأمر، بخلاف الخمر وبخلاف فرضية الصيام.

مطلب ثالث_ تطبيق مبدأ التدرج التربوي والدعوي في السنة النبوية.

السنة النبوية المطهرة تمثل التطبيق العملي للإسلام فالقرآن الكريم هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، وكان مبدأ التدرج سمة بارزة في القرءان الكريم ومنهجا قويا من مناهجه الدعوية والتربوية والتعليمية، تحول هذا المنهج إلى تطبيق عملي وواقعي في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة وتعليمها وتربيتها ، بل إن كيفية نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بصورةٍ متدرجة وعلى مراحل، وهذا تمهيد وتعليم للنبي صلى الله عليه وسلم للتدرج في دعوته، فالمرحلة الأولى هي الرؤيا الصادقة، ثم الخَلوة في غار حراء، ثم مجيء الملَك، ثم فترة الوحي؛ أي: احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول، ثم تتابُع الوحي، ثم الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى مسلم في صحيحه عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أنها قالت: كان أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي الطوال، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود، حتى فَجِئَه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملَك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (49)(50)

قال النووي – رحمه الله – : قال القاضي – رحمه الله – وغيره من العلماء: إنما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا؛ لئلا يفجَأه الملَك ويأتيه صريح النبوة بغتةً، فلا تتحملها قوى البشرية، فبُدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا. (51)

(49) العلق:1

(50) مسلم كتاب: الإيمان، باب: بدء الحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (252)

(51) شرح النووي على صحيح مسلم (198/1) .

وهكذا كان ابتداء الوحي، وهكذا كانت التهيئة لاستقباله، فكانت الرؤيا الصادقة والخلوة في الغار تمهيدًا أو إعدادًا نفسيًّا وروحيًّا، وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى، فلم يكن نزول الوحي مباغتًا، بل سبقه إعداد، وهذا تدرج، ثم بدأ الوحي، ثم فتر فترة من الزمن؛ كي يستوعب النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث، ثم تهيأ بعد ذلك لمرحلة ثانية لتتابع الوحي، وهذا رحمة من الله تعالى بنبيِّه صلى الله عليه وسلم، وحسب سنة الله تعالى في التدرج.

أولاً: التدرج في ترتيب الدعوة بتقديم الأصل على الفرع

يتجلى هذا الأمر في وصيته صلى الله عليه وسلم لمعاذ عندما بعثه داعية إلى اليمن حيث كان البَدْء بالتوحيد أولاً؛ لأنه الأساس للبنيان، ثم الصلاة ، ثم الزكاة، فقد روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه أن معاذًا قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ في فقرائهم"[52]

يقول النووي – رحمه الله –: بدأ بالأهم فالأهم، ومن هنا يتبين أن أصل الدعوة إنما هي الدعوة إلى التوحيد، بدليل قوله: "فادعهم" وأن تكاليف الإسلام بعد ذلك تابعةٌ للأصل، بدليل قوله: "فأعلِمْهم"[53].

فالمراحل التي يوصي بها النبي ﷺ لمعاذ متدرجة من حيث الأولوية من جهة، ومن حيث مدى قبولهم من جهة أخرى، حيث يفصل بين كل مرحلة ومرحلة قوله ﷺ: «فإن هم أطاعوا لذلك» بمعنى إذا استجابوا لهذا الأمر ولم يجدوا حرجًا في ذلك فأخبرهم بالأمر الذي يليه وهكذا.

ثانيًا: التدرج في ترتيب درجات المدعوّين.

كان البَدْء في دعوة الناس للإسلام بالأقربين وبمَن حوله أولاً، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[54] يقول الرازي: ثم أمره بدعوةِ الأقرب فالأقرب، وذلك أنه إذا تشدَّد على نفسه أولاً، ثم بالأقرب فالأقرب ثانيًا، لم يكن لأحدٍ فيه طعن ألبتة، وكان قوله أنفع، وكلامه أنجع [55]

(52) البخاري، كتاب : الزكاة ، باب : أخذ الصدقة نت الأغنياء وترد إلى الفقراء ،(1496)

(53) شرح النووي على صحيح مسلم (189/1)

(54) الشعراء:214

(55) مفاتيح الغيب (/536) .

وقد بدأ عليه الصلاة والسلام بدعوة زوجته وابن عمه، وصديقه أبي بكر، ثم دعا أهله وعشيرته حين جمعهم عند الصفا.

وهذا التدرج منهج تربوي تعليمي بامتياز للدعاة والمصلحين، فالداعية والمصلح قبل أن يبدأ بإصلاح المجتمع ودعوة الأباعد عليه أن يبدأ بنفسه، ثم أهله وأقربائه، وذلك حتى يكون محل احترام وتقدير ولا يكون محل طعن وانتقاد، ويقبل قوله، وتؤتي حينها دعوته أكلها وتُجنى ثمارها.

ثالثا: التدرج في ذكر الشرائع والشعب .

طبق النبي صلى الله عليه وسلم منهج التدرج في أقواله بإخبار الناس عن شرائع الإسلام وشعبه فيبدأ بالأهم فالأهم وذكر ما يترتب عليه صحة باقي الشعب أولا، نجد ذلك في حديثه عن الإيمان، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان"[56].

قال الإمام النووي – رحمه الله تعالى –: وقد نبَّه صلى الله عليه وسلم على أن أفضلَها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشُّعَب إلا بعد صحته، وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إماطة الأذى عن طريقهم، وبقي بين هذين الطرفين أعدادٌ لو تكلف المجتهد تحصيلَها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه. [57]

رابعا: التدرج في تغيير المنكر.

طبق النبي صلى الله عليه وسلم منهج التدرج في تغيير المنكر وأمر الناس به على حسب درجة المنكر، واستطاعة إزالة المنكر، فقد روى الإمام مسلم عن ابن سعيد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَن رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[58] فهذا الحديث أصل في صفة التغيير ومنهج أصيل

(56) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، حديث رقم (58)
(57) شرح النووي على مسلم (8/2)
(58) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الايمان، حديث رقم (78)

للتدرج في مراتب إصلاح الفساد بحسب الاستطاعة، ووجه الدلالة فيه : أن الإنكار يكون بالتدرج من اليد إلى اللسان إلى القلب، وكل ذلك بحسب الإمكان والاستطاعة.

يقول د. عبد الغفار الشريف: " وهذا من أقوى الأدلة على صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم على التدرج في تطبيق الشريعة عند العجز عن إقامتها كاملة "[59]

خامسا: التدرج في ترك بعض المصالح خشية الوقوع في المفاسد.

من حكمته صلى الله عليه وسلم في تطبيق قانون التدرج: تركُ بعض المصالح خشية الوقوع في المفاسد، وترك منكر على ما هو عليه مؤقتًا خشية الوقوع فيما هو أنكر منه، من ذلك ما ذكره البخاري في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة، لولا أن قومَك حديثٌ عهدهم – قال ابن الزبير: بكفرٍ لنقضتُ الكعبة فجعلت لها بابينِ: باب يدخل منه الناس وباب يخرجون" ففعلها ابن الزبير.[60]

يقول ابن حجر – رحمه الله تعالى –: وفي الحديث معنى ما ترجم له؛ لأن قريشًا كانت تُعظِّم أمر الكعبة جدًّا، فخشي صلى الله عليه وسلم أن يظنوا – لأجل قرب عهدهم بالإسلام – أنه غيَّر بناءها، لينفرد بالفخر عليهم في ذلك، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، وفيه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم، ولو كان مفضولاً، ما لم يكن محرَّمًا. [61]

سادسا: التدرج في دعوة المسلمين الجدد.

الداخِل في الإسلام يحتاج إلى اللين والرفق والشفقة، وعدم إثقاله بالتكاليف جملة واحدة، فقلبه لم يعمر بالإيمان بعد، وقد جاء في صحيح البخاري من حديث طلحة بن عبيد الله رضِي الله عنْه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أهل نجدٍ ثائرَ الرأس، نسمَع دَوِيَّ صوته، ولا نَفقَه ما يقول، حتى دنا من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فإذا هو يَسأَل عن الإسلام، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة"، فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: "لا، إلا أنْ تطوَّع"، وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "وصيام رمضان"، فقال: هل عليَّ غيره؟ قال: "لا،

(59) بحوث فقهية معاصرة (10/1)

(60) البخاري كتاب : العلم، باب: مَن ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه (126)

(61) فتح الباري (225/1)

إلا أنْ تطوَّع"، قال: ذكر له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الزكاة، فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: "لا، إلاَّ أنْ تطوَّع"، قال: فأدبَر الرجل وهو يقولُ: والله لا أَزِيدُ على هذا ولا أَنقصُ منه، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "أفلَحَ إنْ صدَق" (62)

لقد كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يُجِيب المسلمَ حديث العهد بالإسلام بما يقتضيه حاله، ويبدأ معه بالأهم فالأهم؛ حتى يستقر الإيمان في قلبه وتتهيأ نفسه لتحمل النواهي والأوامر، وهذا ما يجبُ أنْ ينهَجَه الداعية مع المسلمين الجدد.

ومن الشَّواهِد على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضِي الله عنْه أنَّ أعرابيًّا أتَى النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: دُلَّني على عملٍ إذا عملتُه، دخلتُ الجنة؟ قال: "تعبُد الله ولا تُشرِك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتُؤدِّي الزكاة المفروضة، وتَصُوم رمضان"، قال: والذي نفسي بيده، لا أَزِيد على هذا، فلمَّا ولَّى قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن سرَّه أنْ يَنظُر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة، فليَنظُر إلى هذا" (63)

ومن مبدأ التدرج في الدعوة إلى الإسلام قبول النبي صلى الله عليه وسلم اشتراط بعض المسلمين الجدد القيام ببعض التكاليف، ومن ذلك اشتراط ثقيف بالقيام ببعض التكاليف وترك البعض لما بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم لما في حديث جابر قَالَ: " سَأَلْتُهُ عَنْ إِيمَانِ ثَقِيفٍ فَقَالَ اشْتَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا صَدَقَةَ عَلَيْهِمْ وَلَا جِهَادَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَيَصَّدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا" (64)

وجاء في حديث آخر أن رجلا منهم "أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ عَلَى أَنْ لَا يُصَلِّيَ إِلَّا صَلَاتَيْنِ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ" (65)

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل: "أسْلِم، قال: أجِدُني كارِهاً، قال: أسْلِم وإنْ كُنْت كارِهاً" (66)

---

(62) البخاري كتاب: الإيمان، باب: الزكاة من الاسلام حديث رقم (46)
(63) البخاري كتاب: الزكاة ، باب: وجوب الزكاة حديث رقم (1397)
(64) رواه أحمد في مسنده (17913)
(65) رواه أحمد في مسنده رقم (20287)

فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك منهم تأليفا لهم في الدخول في الإسلام، ورفقا بهم حتى يلقي الله في قلوبهم القبول ويوفقهم للتسليم للدين كله شيئا فشيئا.

فهذه الأحاديث ونحوُها خُوطِب بها حديثو عهدٍ بالإسلام، لئلاَّ يثقل ذلك عليهم فيملُّوا ويرغبوا عنه.

قال النووي رحمه الله: "وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج، فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها، سَهلتْ عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايُد منها، ومتى عسرت عليه أوشَك ألاَّ يدخل فيها، وإنْ دخَل أوشَكَ ألاَّ يدوم أو لا يستَحلِيها " [67].

فتكليف المسلم الجديد بما لا يطِيق، وعدم مُراعاة التدرُّج في دعوته، وإثقاله بالأوامر والنواهي والفرائض والسنن والمندوبات دفعة واحدة قد يكون سببًا في رُجوعِه عن الإسلام، فعلى القائم بالدعوة بين المسلمين الجُدُد أن يُولِي التدرُّج أهميَّته، وأنْ يَفقَه هديَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فيه؛ كي تُؤتِي دعوته أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها.

مطلب رابع_ تطبيق مبدأ التدرج التربوي والدعوي في أبعاد عدة في واقعنا المعاصر.

أولا_ في التعليم.

التدرج أسلوب قوي من أساليب التربية والتعليم؛ كما حصل في تربية الصحابة رضوان الله عليهم عندما حرِّمت عليهم بعض الموروثات، وفرضت عليهم بعض الفرائض والأحكام، وكيف تدرج معهم القرآن في ذلك؛ وكيف راعاهم في مبدأ الربانية في التعلم والتعليم ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [68] قال البخاري في صحيحه : قال ابن عباس رضي الله عنهما :"كونوا ربانيين" حلماء فقهاء ، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، [69] قال ابن حجر _ في هدي الساري_ : أي : بالتدريج. [70]

---

(66) رواه أحمد في مسنده رقم (12061)

(67) شرح النووي على مسلم (41/12)

(68) آل عمران:79

(69) كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل (24/1)

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: والرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور، روي معناه عن ابن عباس. (71)

فالتدرج التربوي والعلمي هو الانتقال من مرحلة تربوية وعلمية إلى مرحلة أخرى أعلى منها، والعلوم مرتبة ترتيبًا متصاعدًا، وبعضها طريق إلى بعض، وهذا هو السبب في ترتيب المراحل الدراسية والصفوف، ابتداءً من الصف الأول الابتدائي وما بعده حتى المرحلة الجامعية، وهذا التدرج يكون في كل فن من فنون العلم، العلوم الشرعية، والعلوم الطبيعية؛ لذا صار من الأهمية بمكان للمعلم أن يولِيَ هذا الأمر جانبًا من اهتمامه، فلا يلقي العلوم جملةً واحدة، ولكن يبدأ بالتدرج من المهم إلى الأهم.

وقد أشار الإمام ابن مفلح – رحمه الله – إلى رأي الإمام أحمد بأن يبدأ الصغير أولاً بتعلم القرآن؛ كي يتعود القراءة، فتكون كالمفتاح لغيرها، قال الميموني: سألت أبا عبدالله، أيهما أحب إليك أبدأ ابني، بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلِّمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً تعوَّد القراءة ثم لزمها. (72)

وتعد هذه الطريقة من طرائق التدريس القديمة، والتي لا يستغني عنها المعلم في العصر الحديث.

وقد اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في التعليم مع أصحابه الكرام؛ فقد ورد عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه –صلى الله عليه وسلم: كان يقرئهم العشر من الآيات، فلا يجاوزنا إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل, فيعلمهم القرآن والعمل معا. (73)

يقول ابن حجر: وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد.(74)

ومن التدرج في التعليم :

ـــ التركيز على الطفل في سن مبكرة لغرس بذرة العلم في نفسه, لأنه يكون أقدر على الحفظ والتلقي.

---

(70) فتح الباري (121/1)

(71) تفسير القرطبي (122/4)

(72) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (33/2)

(73) رواه أحمد في مسنده (410/5)

(74) فتح الباري(163/1)

ـــ مراعاة قابلية التلاميذ على الحفظ وكفاءتهم في تلقي العلوم بحب وحسن استماع.

ـــ ومن التدرج في التعليم وهذا ما يجب على المعلمين الاهتمام به في تعليم طلابهم وهو تصور العلم المراد تعليمه من حيث المقرر أو الموضوع أو الفن أولا، فتصور الشيء أولا يساعد على فهمه وإدراكه، ثم فهمه ثم حفظه ثم التوسع في مسائله.

ـــ ومن التدرج في التعليم البدء بعلوم الآلة بصفة عامة فهي مفتاح العلوم والمعينة على الفهم ثم البدء بأصول كل فن قبل الدخول في مسائله كأصول الحديث وأصول الفقه وأصول التفسير وقواعد العقيدة.

ـــ دراسة الملخصات والمختصرات في كل علم قبل المطولات.

ـــ دراسة الأحكام والمسائل المتفق عليها قبل دراسة مسائل الخلاف والردود والانتقادات.

ثانيا: التدرج في التربية.

التدرج من أعظم الأساليب وأنجحها في مجال التربية سواء من الأب لأبنائه أو من المعلم لتلاميذه أو من الداعية لمدعويه فيبدأ معهم بالأصول قبل الفروع وبالأهم فالأهم وبالأسهل قبل الصعب وأن يتجاوز عن بعض هفواتهم حتى يتربوا على ترك ما هو أكبر ثم تستقبح نفوسهم كل ما هو متفرع وسبب لتلك الكبائر، فإن النفوس في بداية تربيتها تستثقل ترك ما ألفته، ثم التدرج بين اللين والشدة والترغيب والترهيب، ومرحلة التربية تحتاج إلى فترة زمنية وخطة مبنية على منهج التدرج الذي أصله القرءان الكريم وتعامل به النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته.

ثالثا: في الإصلاح وإنكار المنكر.

أحيانا يُترك إنكار المنكر للخوف من الوقوع في أعظم منه، فالمجتمع الإسلامي قد ألف الكثير من المنكرات حتى أصبحت كالأعراف، وتربت عليها أجيال، فينبغي أن يسلك المصلح والداعية سبيل التدرج في الإصلاح وإنكار المنكر حتى لا يقع في أشد من ذلك المنكر، وقد جاء في البخاري من حديث أم عطية قالت : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [75] ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها، فقالت : أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا، فانطلقت ثم رجعت فبايعها"[76]. وفي رواية أخرى : فقالت امرأة من الأنصار : إن آل فلان أسعدوني في الجاهلية وفيهم

(75) الممتحنة:12

(76) البخاري كتاب: تفسير القرآن، باب: إذا جاءك المؤمنات يبايعنك(4892)

مأتم فلا أبايعك حتى أسعدهم كما أسعدوني ، فقالت كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقها على ذلك فذهبت فأسعدتهم ثم رجعت فبايعت النبي صلى الله عليه وسلم " (77)

فالنياحة محرمة ومع ذلك تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار هذا المنكر في هذا الموقف تأليفا لقلبها حتى لا ترفض البيعة مطلقا وتستمر على كفرها الذي هو أشد، فتركها فعلت ما أرادت ثم رجعت فبايعت وحسن عملها.

ومثال ذلك : لو أن رجلا مدمن على المخدرات والحشيش فأنكرنا عليه ذلك ونهيناه، فوافق على أن لا يترك التدخين، فإننا نراعيه في ذلك إذ لو أنكرنا عليه التدخين كذلك لرفض ترك الاثنين، ولكن الاصلاح يكون بالتدريج، فإذا ترك المخدرات وتاب سيحسن عمله ويترك التدخين.

رابعا: تدرج الحاكم في تطبيق أحكام الشريعة.

في عصرنا الحالي عطل تطبيق أغلب أحكام الشريعة، إن لم تكن كلها، واعتادت الدول المسلمة تطبيق القوانين الوضعية وإن كانت تخالف نصوص الشريعة، فقيام الحاكم بتطبيق الأحكام والحدود المعطلة دفعة واحدة سيؤدي هذا إلى نقيض المصلحة التي شرع الحكم من أجلها، وسيؤدي إلى مفسدة أعظم، ومن ذلك إسقاط الحاكم الذي يسعى لتطبيق أحكام الشريعة، واتهامه بالإرهاب، والتخلف، وقمع الحريات الأمر الذي سيؤدي لإحلال الفوضى.

فالتدرج في عصرنا الحاضر في تطبيق أحكام الشريعة، وتعليم الناس بهذه الأحكام وآثارها على المجتمعات الإسلامية هو الوسيلة الأفضل التي توصل إلى تحقيق مقاصد الشارع من التشريع.

خامسا: التدرج في تغيير وإصلاح الأنظمة.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾(78)

إن من أعظم المهام الموكلة إلى علماء الأمة الإسلامية ومجتهديها في عصرنا الحاضر هو تغيير الأنفس وإصلاحها، لأنه الأساس لأي تغيير أو إصلاح اجتماعي، أو بناء مجتمعي، وهذا التغيير

(77) الممتحنة:12

(78) الرعد:11

يكون بغرس الإيمان في القلوب، وتربيتها على القيم والأخلاق الإسلامية، وتصحيح المفاهيم ، وبناء العقل الآدمي على منهج الإسلام القويم.

فإقامة المجتمع الإسلامي وإصلاحه أولا قبل إقامة الأنظمة وإصلاحها، لأن الأنظمة لن تكون صالحة في مجتمع فاسد مبتعد عن شريعة الله، كما أن الأنظمة الحاكمة حتى ولو كانت صالحة لن تستطيع لوحدها إقامة مجتمع صالح يتمتع بكل حقوقه وحرياته.

فالدعوة إلى إصلاح النظام أو تغييره لابد أن يسبقه إصلاح النفوس، وتربيتها وتثقيف الشعوب، وتطهرها من الفساد، حينها لن تكون الأنظمة قائمة في هذه المجتمعات الصالحة وقد تلبست بالخيانة والفساد، فإما أن تصلح من حالها أو أنها ستتهاوى بنفسها، وقد جاء في الحديث:" ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان" [79] وروي أنه قيل للحجاج بن يوسف: لم لا تعدل مثل عمر وأنت قد أدركت خلافته؟ أفلم تر عدله وصلاحه؟ فقال " تباذروا أتعمر لكم"[80] تباذروا يشير إلى أبي ذر رضي الله عنه أي: كونوا لي مثل أبي ذر في زهده وصلاحه أكن لكم مثل عمر بن عبد العزيز في عدله وإنصافه، فاستقامة الرعية وصلاحها ينتج عنه صلاح الراعي واستقامته، فإذا أردنا صلاح الأنظمة وتغييرها إلى الأحسن، فعلينا بإصلاح وتغيير نفوسنا أولا، ثم إصلاح وتغيير الأنظمة، وهذا من منهج التدرج في الإصلاح والتغيير.

(79) رواه ابن ماجه في سننه (4155)

(80) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي(234/1)

الخاتمة

وأخيرا فإن القلم واللسان ليعجزان عن الإحاطة بهذا الباب الفسيح والبحر الزاخر، إلا أنني ومن خلال هذا العرض السريع والمتواضع لمبدأ التدرج التربوي والدعوي وتطبيقاته في السنة النبوية فقد خلصت إلى أهم النتائج الآتية:

ـ التدرج منهج تربوي أصيل اتبعته الشريعة الإسلامية في كل أحوالها، وفي جميع مراحلها، وفي شتى صورها، بل هو من الأسس التي قامت عليها الدعوة في العهد النبوي الشريف.

ـ السنة النبوية بينت منهج التدرج التربوي والدعوي في الإسلام والذي جاء لموافقة الفطرة ومراعاة السنن الإلهية في التغيير، وتهيئة النفوس للامتثال وعدم النفور من تنفيذ أحكام الشريعة.

ـ السنة النبوية بينت أن عملية التربية والتعليم في الإسلام بمبدأ التدرج هي عملية بناء العبد الرباني وتكوين الشخصية القوية الثابتة المتزنة.

ـ مبدأ التدرج في التربية والتعليم لا يرهق المستمع والمدعو بالأوامر والنواهي دفعة واحدة، بل فيه مراعاة لقدراته وطاقاته.

ـ التدرج يلبي الحاجات الشرعية بأحسن صورها، فالإنسان حين يكلف بأداء أي واجب عليه في الأمر أو النهي، فإنه يقوم بأدائه وتحقيق أركانه بصورة كاملة حين يكون متدرجًا على شكل مراحل، ويتكاسل هذا الإنسان ويشق عليه حين يُكلف بمجموعة من الأوامر دفعة واحدة.

ـ التدرج يكوّن الشخصية المتوازنة والمستقيمة، لأن صاحبها يتلقى الأمر والتوجيه على مراحل، فيكون كل ما يبنى على هذه القاعدة صحيحًا ومتينًا، بخلاف الذي يتلقى الأمر أو النهي دفعة واحدة، حيث تتأزم نفسه ويثقل الضغط عليها، وبالتالي لا يستطيع أن يبقى الإنسان متوازنًا في سائر أحواله.

ـ التدرج في التعليم والتربية يمنع وقوع الفوضى والتداخل في حركة الإنسان، لأن أخذ الأحكام من غير تدرج أو القفز فوق بعضها للوصول إلى مراحل متقدمة بشكل سريع، يؤدي إلى التخبط والفشل والتوقف عن العمل في معظم الحالات، لذا كان التدرج في التشريع متوافقًا مع أحوال الناس وطبيعة ظروفهم، كما جاء في مسألة الأمر والنهي.

ـ بينت السنة النبوية أن التدرج الدعوي لا يلغي حكما واجبا أو يبيح محرما وأما السكوت عن هذه الأحكام فهو في فترة مؤقتة لمعالجة ما هو أكبر أو تمهيدا لإنكاره .

أهم التوصيات

1_ عقد مؤتمرات وندوات تُعني بمناهج القرآن الكريم والسنة النبوية في كل القضايا والمجالات لجعل هذين المصدرين هما المنهل الوحيد في الأوساط الفكرية الإسلامية، للعمل على تطوير السياسات التربوية والعلمية في الأمة .

2_ النظر بعين العصر للمنهج التربوي النبوي التطبيقي في السنة النبوية للاستفادة من مناهجها التربوية والحضارية القادرة على بناء الشخصيات الإبداعية بناءً محكماً وتوظيفها عملياً.

3_ فتح آفاق دراسات علمية دقيقة في التربية النبوية من خلال كتب السنة والتي تحتاج لها الأمة في الأوقات الراهنة، لتسير صوب الهدف المنشود.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذه المحاولة المتواضعة وما توفيقي إلا بالله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

1_ القرآن الكريم مصحف المدينة.
2_ التدرج في التشريع والتطبيق في الشريعة الإسلامية، محمد الزحيلي، ط1 ـ 1420هـ،الكويت.
3_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، د، ط: 1423هـ. 2003م دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
4_ الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح الراميني ، د، ط، دار عالم الكتب بيروت.
5_ روح البيان في تفسير القرآن، للشيخ إسماعيل حقي ،ط ـ1839م مصر.
6_ سنن الترمذي، ط الثانية، 1395 هـ - 1975 م ،مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي مصر.
7_ سنن النسائي(المجتبى) ط2 ، 1406هـ- 1986م ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ،حلب.
8_ شرح النووي على صحيح مسلم ، ط1 ، 2001م ، مؤسسة المختار القاهرة.
9_ الصحاح في اللغة للجوهري ، ط1 ، 1420 هـ - 1999م ،دار الكتب العلمية ،بيروت
10_ صحيح البخاري ، ط2 ، 1423 هـ - 2002م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
11_ صحيح مسلم ، ط1 ، 1412هـ - 2001م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
12_ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط1، 1407هـ/1986م، دار الريان للتراث القاهرة.
13_ فقه السنة، سيد سابق ، ط:3، 1397 هـ - 1977 م، دار الكتاب العربي، بيروت
14_ لسان العرب لابن منظور ،طبعة سنة 1374 هـ - 1955 م ، دار صادر.
15_ مسند أحمد مؤسسة قرطبة ، مصر ، ط بلا.
16_ معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا، ط: 1399هـ - 1979م دار الفكر
17_ المعجم الوسيط في اللغة ،إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، د، ط ، نشر دار الدعوة.
18_ مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي ، ط 3 ـ 1420هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت
19_ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية ، د، ط، دار الكتب العلمية — بيروت.

20_ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط1 – 1412 هـ ،دار القلم ،بيروت.